﴿قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَٰلِكَ أَزْكَىٰ لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ ﴿٣٠﴾ وَقُل لِّلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ...﴾[1].

□□

الحياة مدرسة

علمتني الحياة أشياء لم أكن أعلمها، ولا أظن أن مدرسة يمكن أن تعلمني ما تعلمت من الحياة، فالكتب تعطيك تجربة الآخرين، ولكن لا تعطيك تجربتك أنت، فأنت بحاجة للتعبير عن ذاتك[2].

□□

﴿وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ﴾

يقول د. عائض القرني عن هذه الآية: تحدث عن جميلنا، أخبر الناس بأيادينا، أعلن نعمنا عليك، إن الله يحب من عبده أن يشكره حتى يسبغ إليه النعم أكثر فأكثر.

قال بعض السلف: يا ابن آدم والله لو كساك رجل ثوباً لرأيت إحسانه وعرفت جميله، فكيف بمن أنعم عليك كل النعم؟ إن الحيوان الذي ترعاه وتحسن إليه، يقابلك بمعاملة تدل على الشكر، فالكلب الذي تحسن إليه لا ينبح عليك بل يحرسك.

□□

(1) سورة النور، الآيتان: 30، 31.

(2) علمتني الحياة، د.محمد فاروق النبهان، ص: 6/ ط1/ 2007م.

دعاء في الصلاة

عن أبي بكر الصديق ﷺ، أن قال لرسول الله ﷺ: علمني دعاءً أدعو به في صلاتي. قال: «قل: **اللّهم إني ظلمت نفسي ظلماً كثيراً ولا يغفر الذنوب إلا أنت فاغفر لي مغفرة من عندك، وارحمني إنك أنت الغفور الرحيم**» متفق عليه.

وكان ابن تيمية إذا صعبت عليه مسألة استغفر الله ألف مرة.

❑❑

مختارات شعرية

- لا تقل قد ذهبت أربابه كل من سار على الدرب وصل
- وإذا كانت النفوس كباراً تعبت في مرادها الأجسام
- همة تنطح الثريا وعزم نبوي يزعزع الجبالا
- همتي همة الملوك ونفسي نفس صر ترى المذلة كفرا
- إذا غامرت في شرف مروم فلا تقنع بما دون النجوم
- ولم أر في عيوب الناس عيباً كنقص القادرين على التمام
- ومن تكن العلياء همة نفسه فكل الذي يلقاه فيها محبب
- ومن يهن يسهل الهوان عليه ما لجرح بميت إيلام

❑❑

إباء عالم

مرَّ ابن هبيرة - أحد أمراء بني أمية - بجيش عرمرم على خيول متوجة وعليهم الديباج والحرير، فهو أمير قد نسي نفسه ونسي الله. فقام له الناس جميعاً إلّا الحسن البصري. قال: لِمَ لمْ تقم يا حسن وقد قام الناس لي؟ قال: أردت أن أقوم

فتذكرت فيك ثلاث خصال فما قمت لك. قال: ما هي؟ قال: علمت أنك أتيت من نطفة ﴿يَخْرُجُ مِنۢ بَيْنِ ٱلصُّلْبِ وَٱلتَّرَآئِبِ﴾[1]. وعلمت أنك تحمل في بطنك العذرة (الغائط)، وعلمت أنك تصير إلى جيفة قذرة ترمى في التراب كما ترمى الكلاب، فما قمت لك. فنكس رأسه خجلاً أمام الناس وذهب. وهذه معرفة الموحدين بقدر المتكبرين.

□□

تعاون لا مثيل له

حدّث الواقدي وهو من كبار علماء القرن الثاني الهجري فقال: كان لي صديقان أحدهما هاشمي، وكنا كنفس واحدة فنالتني ضائقة شديدة، وحضر العيد فقالت امرأتي: أما نحن في أنفسنا فنصبر على البأس والشدة، وأما صبياننا هؤلاء فقد قطعوا قلبي رحمة لهم لما عليهم من الثياب الرثة، فانظر كيف تعمل لكسوتهم. قال الواقدي: فكتبت إلى صديقي الهاشمي أسأله التوسعة علي، فوجه إلي كيساً مختوماً فيه ألف درهم. فما استقر في يدي حتى كتب إليّ الصديق الآخر يشكو مثل ما شكوت إلى صديقي الهاشمي. فوجهت إليه الكيس بختمة ثم أخبرت امرأتي بما فعلت فلم تعنفني عليه، فبينما أنا كذلك إذ أتاني صديقي الهاشمي ومعه الكيس كهيئته، فقال لي: اصدقني عما فعلت بالكيس الذي وجهته إليك فعرّفته الخبر. فقال لي: إنك طلبت مني المال ولم أكن أملك إلا ما بعثت به إليك، ثم أرسلت إلى

(1) سورة الطارق، الآية: 7.

صديقي الثالث أسأله المواساة فوجه إليّ الكيس الذي بعثته به إليه. قال الواقدي: فتقاسمنا الألف درهم فيما بيننا كل واحد ثلاثمائة، ثم أخرجنا للمرأة مائة درهم، ووصل الخبر إلى المأمون، فدعاني وسألني فشرحت له الخبر فأمر لنا بسبعة آلاف دينار لكل واحد منا ألفا دينار وللمرأة ألف دينار[1].

قصة مؤثرة.. الزوجة الداعية

نشرت مجلة الدعوة السعودية في عددها 1765 هذه القصة لزوجة صالحة، ولزوج مقصر، تقول الزوجة:

كنت أقوم بعد منتصف الليل لأصلي، ورغم حرصي على عدم إزعاجه إلّا أنه كان ينتبه لي ويراني في صلاتي، وبعد فترة سألني: كيف تقومين للصلاة وأنت منهكة من الأعمال المنزلية؟ فأجيبه بأنني سعيدة بالأمر، وأسأله: أرأيت لو أن هناك حفلة أو وليمة، كيف يكون اشتياقك لحضورها؟ أرأيت الناس ليلة العيد، كيف ينامون فرحاً به؟ ويمضي الوقت وهم يتأهبون؟ أنا أشد منهم شوقاً للصلاة وفرحاً بها، ولو جربت صلاة الليل لتعلقت بها وما تركتها. وبالفعل صار يصلي القيام بعد أن ينام، حتى لو كان متعباً والآن يؤديها هو وابني البالغ من العمر تسع سنوات. أما القرآن، فقد لاحظ أنه أمر أساسي في حياتي، فكلما دخل البيت أو خرج منه، يراني أقرأ القرآن، أو أستمع له عبر المذياع حتى صار يسألني: أين

(1) أحكام الصيام و فلسفته في ضوء القرآن والسنة، د.مصطفى السباعي، دار النيرين، دمشق، ط2، 2001م.

وصلت في القراءة؟ فأخبره أني سبقته، وخاصة في شهر رمضان، فيتعجب من تقدمي في التلاوة، فيشد همته. وهناك عدة مواقف أربط أمرها بالدين فقد شكا ذات يوم من الأيام أن الراتب ينتهي بسرعة، فقلت له بلغة الواثقة: أنا متأكدة أنه سينتهي، فتعجب وسألني عن السبب، فأخبرته أن البركة نزعت منه لأنه يتأخر في الذهاب للدوام، مما يجعل جزءاً من راتبه حراماً... فصمت، ولكنه أصبح حريصاً على الدوام فيما بعد... وكذلك الأمر بالنسبة للأذكار كنت أحافظ عليها، وأخبره بثقة متناهية أنها تحفظني من كل سوء، حتى راح يحافظ عليها.. وقد تغير كثيراً، فأطلق لحيته، وترك مشاهدة التلفاز، ونشط كثيراً، فحافظ على أداء الصلوات في المسجد، وصار يقوم بأعمال صالحة كثيرة، حتى تفوق علي الآن. وبالنسبة للطرق التي استخدمتها في دعوتي له فهي: الدعاء، والحرص على الاستزادة من الخيرات، والقدوة الحسنة، والرفق في كل الأحوال، فهو ما دخل في شيء إلا زانه، وما نُزع من شيء إلا شانه.

والحمد لله، أنا أعيش الآن في سعادة مع عائلتي لا يعدلها مال الدنيا، فأسأله تعالى أن يثبتنا جميعاً على دينه وإسلامه[1].

❑❑

(1) مواقف تدمع لها العيون، ص: 65، محمد رجال، دار المحبة، الطبعة الأولى، 2003م، دمشق، سوريا.

علامات موت القلب

قال ابن عطاء الله السكندري في الحكم: علامة موت القلب:

1 ـ عدم التحسر والحزن على فوات الطاعة.

2 ـ وعدم الندامة والخجالة على وجود الزلات.

❑❑

المؤمن القوي

قال رسول ﷺ: «**المؤمن القوي خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف**».

* المؤمن القوي يقاوم الشيطان والنفس والأعداء.
* المؤمن القوي لا يطلق بصره لأنه يعرف أنه جرأة على الله.
* المؤمن القوي لا يأكل الحرام، يأكل التراب ولا يأكل الحرام.
* المؤمن القوي لا يتكاسل عن الصلاة بل يصليها في وقتها.
* المؤمن القوي يصوم في الصيف.
* المؤمن القوي يقول الحق ولا يخاف في الله لومة لائم.
* المؤمن القوي يحمل الأمانة كما لم تحملها الأرض والبحار.
* المؤمن القوي يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر.
* المؤمن القوي ينظر بنور الله.

obeikandl.com

* المؤمن القوي يضرب بقوة الله.
* المؤمن القوي يصبر على أذى الناس.

❑❑

نصيحة

قال والد لولده:
* اكتب أحسن ما قرأت.
* واحفظ أحسن ما كتبت.
* وتحدث بأحسن ما حفظت.

❑❑

زجر النفس

يقول أبو العتاهية: ألححت على أبي نواس أن يرجع عما هو فيه فقال مجيباً:

لن ترجع الأنفس عن غيها ما لم يكن منها لها زاجر

فودت أني قلت هذا البيت بكل شيء قلته.

❑❑

القرب من الله

عن أحمد بن أبي الحواري، قال: سأل محمود أبا سليمان وأنا حاضر: ما أقرب ما يتقرب به إلى الله ﷻ؟ قال: أقرب ما يتقرب به إليه: أن يطلع على قلبك، وأنت لا تريد من الدنيا والآخرة إلّا هو. قال سهل بن عبد الله: ما من ساعة إلّا والله ﷻ مطلع على قلوب العباد، فأي قلب رأى فيه غيره، سلط عليه إبليس.

❑❑

obeikandl.com

إرشاد الأريب

وأنشد ضياء الدين أبو الحسن:

اجهد لنفسك، إن الحرص متعبة ... للقلب والجسم والإيمانُ يرفعه
فإن رزقك مقسوم سترزقه ... وكل خلق تراه ليس يدفعه
فإن شككت في أن الله يقسمه ... فإن ذلك باب الكفر تقرعه[1]

□□

القصيدة المجابة

قال ابن دحية: أنشدني عبد الرحمن السهيلي صاحب (الروض الأنف) وقال: إنه ما سأل الله بها حاجة إلا أعطاه إياها وكذلك من استعمل إنشادها وهي:

يا من يرى ما في الضمير ويسمع ... أنت المعد لكل ما يتوقع
يا من يرجى للشدائد كلها ... يا من إليه المشتكى والمفزع
يا من خزائن ملكه في قول كن ... أمُنن، فإن الخير عندك أجمع
ما لي سوى فقري إليك وسيلة ... فبالافتقار إليك فقري أدفع
ما لي سوى قرعي لبابك حيلة ... فلئن رُددت فأي باب أقرع
ومن الذي أدعو وأهتف باسمه ... إن كان فضلك عن فقيرك يمنع
حاشا لمجدك أن تقنط عاصياً ... الفضل أجزل والمواهب أوسع
ثم الصلاة على النبي وآله[2] ... خير الأنام ومن به يشفع

(1) الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب، ص: 354، ج1.
(2) نفس المصدر، ص: 424، ج1.

تقويم التجارب المرة

من منا لا يعرف هذا العلم الجهبذ، ومن منا لم يتتلمذ على كتبه في فنون الدعوة والإرشاد وأصول الفقه وقواعده وقوانينه في إرساء البيت المسلم.

يقول: يقول البعض: علمتني تجارب الحياة أن لا أقرض أحداً شيئاً ولا أفعل معروفاً لأحد ولا أصل قرابتي، ولا أنصح أحداً بحجة أنه فعل ذلك كله فلحقه الكثير من الأذى والتعب ونكران الجميل وجحود الحق. .

والواقع أن في هذا القول معارضة ومناقضة لتعاليم الإسلام، ومن أجل هذا رأيت أن أكتب شيئاً في موضوع تجارب الحياة، ومدى علاقتها بتعاليم الإسلام. لا شك أن تجارب الحياة وأحداثها ووقائعها مدرسة مفتوحة للجميع، يتعلم كل إنسان منها بقدر فطنته وذكائه ومدى استعداده للفهم وقدرته على الاستنباط والاستدلال والاتعاظ، كما يتعلم منها كيفية المعاملات مع الناس على الوجه الصحيح النافع له، ولهذا نجد في كتب الفقه باب (الصبي المأذون) ويريد الفقهاء به الصبي المميز الذي يأذن له وليه بالبيع والشراء ونحو ذلك، ويكون الصبي بهذا الإذن كالبالغ العاقل في حدود ما أذن له به وليه، وبالشروط المقررة في الفقه الإسلامي. وتبرير جواز إعطاء الإذن للصغير من قبل وليه ـ مع احتمال لحق الغبن والخسارة به ـ هو مصلحة للصغير نفسه التي تظهر في تدريبه على مباشرة الأعمال بنفسه وتعلمه منها كيفية جريانها بين

الناس مما سينفعه في مستقبل حياته. فالحياة وتجاربها إذاً، تعلم وتبصّر لأنها واقع محسوس تراه العين، وتلمسه اليد، ويتنبه له العقل، وينفعل به الوجدان، فيترك آثاراً في النفس لا تنسى غالباً. وكذا كانت الحياة وتجاربها تعلم وتبصر كما قلنا، فإن ما يتعلمه المسلم منها قد يكون مقبولاً وقد يكون مرفوضاً. والميزان في القبول والرفض هو مدى مطابقة أو مخالفة ما يتعلمه من تجارب الحياة مع مفاهيم الإسلام وأحكامه.

فإذا حصلت المطابقة فالتعلم مقبول وإلا فهو مرفوض، والمطابقة تتحقق إذا كان ما تعلمه ويتعلمه المسلم من واقع الحياة مؤكداً لمعاني الإسلام ومبصراً بها ومبيناً للمسلم مدى التزامه بهذه المعاني.

وما قلناه لا يغني عن ضرب الأمثلة ليتضح المقصود، وخير ما أذكر من أمثلة هو ما ذكرته من قول البعض وعزمه على ترك المعروف من قرض وإحسان للغير عبر القرض وصلة الأقارب، والنصح للمسلم ليتبين التعلم المقبول والمرفوض من هذه الأفعال وتجارب المسلم فيها. .

الأمثلة: القرض مندوب بالنسبة للمقرض، وقد يفضل ثوابه ثواب الصدقة كما جاء في حديث رواه ابن ماجه. لأن سائل الصدقة قد يسأل وعنده ما يكفيه أما المقترض فلا يسأل القرض غالباً إلا وهو محتاج. وقد قال أبو الدرداء ﷺ: (لأن أقرض دينارين ثم يردان إليّ ثم أقرضهم أحب إليّ من أن أتصدق بهما) وعلى المسلم إذا أقرض أحداً شيئاً أن يكتبه كما

أمر الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا تَدَايَنتُم بِدَيْنٍ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى فَٱكْتُبُوهُ﴾[1]. وكتابة الدين لتوثيقه وإثباته فإذا تطلب توثيقه أن يكون لدى الكاتب العدل فعلى المسلم أن يفعل ذلك حتى يمكنه الاحتجاج بهذا التوثيق، وكما لا يعفى الدائن المسلم عن الكتابة كون المدين أميناً ثقة، وقد يقول قائل: لقد أقرضت الأمين وكتبت الدين ولكنه مات مفلساً قبل الوفاء فهلك علي الدين، أفلا يجوز لي أن أعزم على عدم الإقراض لئلا يضيع علي مالي؟

والجواب على ذلك: لا، لأن احتمال ضياع حق الدائن احتمال موجود في كل حين، ولم يخل منه عصر قط ومع هذا لم يأت في الشريعة الإسلامية ما يجعل هذا الاحتمال مبرراً شرعياً لترك الإقراض مطلقاً والعزم على هذا الترك، هذه واحدة، والثانية أن الدائن يثاب على إقراضه، لأن القرض مندوب والشأن في المسلم أنه ينوي بفعل المندوب ثواب الله، وثواب الله أعظم مما فاته من استرداد دينه..

المثال الثاني: الإحسان إلى الغير قد يكون بالمال قرضاً أو هبة أو إعارة، وقد يكون بالحياة والشفاعة الحسنة. وقد يكون بالكلمة الطيبة التي ترد الحق لصاحبه أو تمنع عنه سوء الظن به أو تدفع الظلم عنه، وقد يكون بمواساته وزيارته ومشاركته في السراء والضراء، ونحو ذلك من ضروب الإحسان. وقد يحصل أن المحسن لا يلقى ممن أحسن إليه

(1) سورة البقرة، الآية: 282.

مقابلة بالمثل في وقت يحتاج فيه إلى إحسان من أحسن إليه، وقد يلقى منه الإساءة بدل الإحسان، فيكون لهذا الموقف أثر بالغ في نفس المحسن يحمله على القول: علمتني تجارب الحياة أن لا أحسن إلى أحد، ويعزم على ذلك، وربما احتج بالقول المشهور (اتق شر من أحسنت إليه) معتقداً أنه حديث شريف. وهذا القول خطأ قطعاً فإذا أُسيغ واحتمل من قائله في ساعة غضبه وانفعاله، فإنه لا يُساغ ولا يجوز أن ينطوي عليه قلبه في مستقبل حياته، وإنما عليه أن ينظر فيما حدث في ضوء ما يأتي:

أ ـ أن الإحسان بالنسبة للمحسن إما واجب عليه أو مندوب، فإن كان واجباً فلا يجوز له أن يتطلع إلى الجزاء ممن أحسن إليه، لأنه أدى واجباً شرعياً، والجزاء على الواجب الشرعي يكون من الله لا من عباده، وإن تعلق هذا الواجب بهم واستفادوا منه، كالذي يزكي ماله لا يجوز له أن ينتظر الجزاء ممن أعطاه زكاة ماله.

وأما إذا كان الإحسان مندوباً إليه وفعله المحسن بهذه الصفة، فإن الثواب على عمل المندوب يكون من الله تعالى، ولا ينبغي للمسلم أن ينتظره ويرجوه ممن تعلق به الإحسان، قال تعالى: ﴿إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ ٱللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنكُمْ جَزَآءً وَلَا شُكُورًا﴾[1].

فمن أخلاق الإسلام وتعاليمه أن يقابل المسلم الإحسان بمثله أو بأحسن منه، قال تعالى: ﴿هَلْ جَزَآءُ ٱلْإِحْسَٰنِ إِلَّا

(1) سورة الإنسان، الآية: 9.

﴿ٱلْإِحْسَٰنُ﴾[1].

وكان من خلق سيدنا محمد ﷺ رد الإحسان بأحسن منه، وعلى هذا فإن المحسن إليه وقع في التقصير وعدم مراعاة تعاليم الإسلام، وفي ضوء ما تقدم فإن التجربة التي مر بها المحسن وهي عدم مقابلة إحسانه بالمثل، أو مقابلته بالإساءة، يجب أن يتعلم منها ما يأتي حتى يكون تعلمه نافعاً مقبولاً:

1 ـ عدم خلوص نيته لأنه لو كان عمله خالصاً لوجه الله لما انتظر الجزاء ممن أحسن إليه، ولما غضب لعدم مقابلته بالمثل، ولما عزم على ترك الإحسان. وعلى هذا يجب أن يصحح نيته ومقصوده ويجعل أعماله خالصة لله تعالى.

2 ـ أن في الناس جهلاً فاحشاً بتعاليم الإسلام، أو عصياناً لهذه التعاليم، إلى درجة أنهم لا يحملون أنفسهم على مقابلة الإحسان بمثله، بل ولا يرون بأساً في مقابلة الإحسان بالإساءة.

المثال الثالث: صلة الأقارب: كثيراً ما تمر بالإنسان تجارب مريرة مع أقربائه كأن يصلهم ويتفقدهم ويساعدهم وهم لا يفعلون معه ذلك، فيمتلئ قلبه غيظاً عليهم، ويقول: علمتني تجارب الحياة مع أقاربي أن لا أصل أحداً منهم أبداً ولا أساعدهم ولا أعترف بهم... إلخ.

والواقع أن هذه النتيجة لا ينبغي أن يصل المسلم إليها من

(1) سورة الرحمٰن، الآية: 60.

تجاربه المحزنة مع أقربائه، ذلك أن ما يقوم به نحوهم إنما هو من قبيل الحقوق الواجبة عليه، أو من نوع المندوب والفضل. ولا يجوز التفريط في فعل الواجب ولا إهمال المندوب، وإن فرطوا هم بواجبهم نحوه. هذا هو الفهم الصحيح لما تنطوي عليه هذه الوقائع والتجارب مع الأقارب، فقد جاء في الحديث الشريف الذي رواه الإمام مسلم رحمه الله: «أن رجلاً قال: يا رسول الله إن لي قرابة أصلهم وأحلم عنهم ويجهلون علي. فقال: **«لئن كنت كما قلت فكأنما تسفهم المل، ولا يزال معك من الله ظهير عليهم ما دمت على ذلك»**.

ومعنى: «تسفهم المل» أي كأنك تطعمهم الرماد الحار وهو تشبيه لما يلحقهم من الإثم بما يلحق أكل الرماد الحار من الألم، ولا شيء على المحسن، ولكن ينالهم إثم عظيم بتقصيرهم في حقه وإدخالهم الأذى عليه.

والحمد لله رب العالمين